

الجزء الأول

تأليف

الدكتور عبد اللطيف الخطيب

دار سعد الدين
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص.ب ٣١٤٢ تلفاكس ٢٢١٩٦٩٤ - القاهرة ٢٩٥٦١١٤

دار سعد الدين
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - ص ب ٣١٤٣ تليفاكس ٢٣١٩٦٩٤ القاهرة ٣٩٥٦١١٤

معجم القراءات / عبد اللطيف الخطيب - دمشق
دار سعد الدين، ٢٠٠٠ - ١١ ج ؛ ٢٤ سم
١ - ٢١١/٨/١١ خ ط ى م ٢ - العنوان ٣ - الخطيب مكتبة الأسد
ع - ٢٠٠٠/١٠/١٧١٩

وافقت إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني في الجمهورية العربية السورية على طباعته تحت رقم (٢) وتاريخ ٦/٢/٢٠٠٠ م.
ووزارة الإعلام في الجمهورية العربية السورية تحت رقم ٤٧٣٤١ وتاريخ: ٢/١٠/٢٠٠٠ م.

الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م
الطباعة والتجليد: مؤسسة الرازي للطباعة والتجليد - دمشق - سورية ☎ ٦٢٣٠٨٨٧
التنضيد الضوئي: مكتب الفارس - مطبع اللحام ☎ ٢٢٤٨٢٤٣

الإهداء

إلى والديَّ

هل حققتُ رجاءكما في الحياة الدنيا ؟ لئن كان ذلك كذلك فهذا بعض فضلكما عليَّ أقدمه هديّةً إليكما، فلم أجد أفضل من حديثي في كلام رب العالمين هديّةً تُهدى ، وأرجو الله أن يكافئكما بما أنتما أهلٌ له ، وأن يجزيكما خير الجزاء في الدنيا والآخرة .

عبد اللطيف محمد الخطيب

اللَّهُمَّ

إنِّي أَسْتَعِينُكَ بِقُوَّتِكَ، وَأَسْتَهْدِيكَ بِهَدْيِكَ
وَأَرْجُو مِنْكَ مَا لَا أَرْجُوهُ مِنْ غَيْرِكَ، فَحَقِّقْ
رَجَائِي فِيكَ، وَاجْعَلْ عَمَلِي هَذَا خَالِصًا
لِوَجْهِكَ، وَانْفَعْ بِهِ كُلَّ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ، وَلَكَ
الحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ يَا أَللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد اللطيف محمد الخطيب إلى أخيه سعد عبد العزيز مصلوح

سلام الله عليك، وبعد،

فهذا «معجم القراءات» استوى عندي في أحد عشر مجلداً بعد عملٍ مُتَّصل فيه استمر خمساً وعشرين سنة، وهي خير سني العمر، سَوَّدتُ فيها بالمداد من الأوراق ما ينوء حملُه بالبعير الأعْصَل، لاسعياً لغنى أغتنيه، ولا لحمدٍ أكسبه من ألسنة الناس، بل وفاءً بحقٍّ العلم، وابتغاء مرضاة الله بخدمة كتابه، وها أنذا أضعه أمامك، لتنظر فيه ببصرك الثاقب، وتضع له فاتحته.

ولقد أردتُ من وراء هذا أن أذهب في عملي مذهب الباحثين في هذا الزمان، لعلي أُسْلَك في سلكهم، وأُنْزَل في منزلتهم، ويكون لي - من بعد - بعض الذي كان لهم.

غير أن الباحثين دَرَجُوا في مثل هذه الحال على الْتماسِ رجلٍ طار ذكره بين الناس بالحق أو الباطل، ليمتدح صُنْعَهم، ويثني على عملهم - ثم يقولوا للناس: هذه هي الشهادة، وهَمُّك بها من شهادة! فيروج الكتاب بين الناس، وفيه عورة مكشوفة، وسَوْءَةٌ مفضوحة، وجهل يدركه من أُوتيَ البصيرة والبصر، وقليل ما هم!

وأنا ما إلى هذا رميت، فلو كنت أريد أن أزيِّن للناس مافعلت لذهبت بكتابي هذا إلى غيرك ممن خدع الناس بورم خبيث أظهره أمام الخلق على أنه شحم

أوتيه على قَدَر، واختصه الله به من بين البشر، وأنت عندي على غير هذا - وأُنَزِّهُك أن تكون كذلك! فأنت عندي- بعد أن خَبَرْتُ نحيزتك- شحمُك شحم، وأنا أومن بأنك تأنف من أن تثني ثناء المنافقين على أحد من خلق الله، علا أو نزل.

وإني إذ أضع كتابي هذا بين يديك فإنما أريد أن تنزل فيه بمبضع حادّ في مفاصله، وأنت الخبير بذلك ، وتظهر للناس مافيه من نقصٍ ليستدركوه، وعيبٍ ليصلحوه، ولايَحُولَنّ ودّ بينك وبيني من قول كلمة الحق على القدر الذي تراه فيه.

وأريد - مما أريد منك - أن تضع للناس في فاتحتك هذه علاماتٍ على الطريق يهتدون بها في تناول مسائلهم من هذا الكتاب، وتأخذ بأيديهم إلى منابع الخير التي أزعم أنها فيه، إن ذهبتَ فيه مذهبي، ورأيتَ فيه ماأرى.

وعلى هذا فاُكتب - أيها الأخ الفاضل - ماتكتب وأنت تُنْزِل عملك في ميزان الآخرة، فذلك خير وأبقى، لك ولي، وهو حسبك وحسبي.

والله الموفق.

أخوكم

عبد اللطيف محمد الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي هذا المعجم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، والصلاة والسلام على من أُوتي الحكمةَ وفَصْلَ الخطاب، سيدنا محمد بن عبد الله، الفاتح لما أُغْلق، والخاتم لما سَبَق، والناصر الحقَّ بالحقِّ، والهادي إلى صراط الله المستقيم.

وبعدُ، فقد أَحْسَنَ أخي عبد اللطيف الخطيب بصاحب هذا القلم الظَّنَّ، فرغب إليه أن يُقَدِّم لهذا السِّفر الجليل، ومَحَبَّةُ الرجال للرجال فتنةٌ مُوْجِبَةٌ لتكلّف الحُسْن فيما ليس بالحَسَن. وبُغْضُ الرجال للرجال فتنةٌ صارفةٌ عن التماسِ العذرِ وإقامة العثرةِ فيما هو معيب، وإيثار السلامة فتنة تُغري بزخرف القول، وبما هو حَمّال أَوْجُهٍ من الكلام، ذلك كله حقٌّ لاشَوْبَ فيه، وإني لأشهد أن بيني وبين مُصَنِّف هذا الكتاب وُدّاً ليس بالظنين، وصلةً واشجةً تتأبّى -بإذن الله- على التقلُّب والحُؤُول، بيد أن هذا الوُدَّ الخالص لوجه الله والعلم ماينبغي له أن يُفْسِدَ شهادةً لايكتمها إلاّ من هو آثِمٌ قَلْبُه، وأعوذ به سبحانه أن أَتجانَفَ إلى إثم، أو أن أَخُوضَ فيما ليس لي به علم، وهأنذا، إذ أُؤَدِّي الشهادة، أسأله الصبر على صعوبة المُرْتَقَى، وَوَعْثاء الطريق، وبلوغ المقاصد.

والحقُّ أن أمر هذا المعجم وصاحبه عَجَبٌ من عَجَب، أَرَأَيْتَكَ هذا الذي وَدَعَ الوكال والهوينا، وتَجَافَى عن طلب الذكر والمثالة بين الناس؛ طلباً منه لما هو أَبْعَدُ غَوراً، وأَعلَى قُلَّةً، وأثقل وزناً. وتعرُّضاً منه للباقيات الصالحات التي هي عند ربك خيرٌ ثواباً، وخيرٌ أملاً، لقد نَصَبَ أخي عبد اللطيف لغاية تفوت ذَرْع العُصْبة أولي القوة، وتصدّى فرداً لأحرف القرآن جمعاً واستقصاءً، وتحريراً، وتحقيقاً، وتوجيهاً، وتخريجاً. حتى كان العمل الذي لايكاد يَشُكُّ المُتَصَفِّح لأثنائه أنه قَمِن

بأن يكون معجوباً منه، ومعجوزاً عن مثله، في زمن فَسَد فيه السمين بالغث، ورُقِّع فيه الجديد بالرَّث، واختلط فيه المُبْرَم بالسَّحيل.

وحَقٌّ القارئ عليَّ وعلى الكتاب أن يجد في هذه المقدمة قسطاساً مستقيماً يَسْتَبِينُ به النقصان من الرجحان، وتنحاز به الشائنات من الزَّائنات، وأن يلتمس فيها مايعينه على إنزال هذا العمل في حاقِّ منزلته من مكتبة القراءات القرآنية، وعلى التهدِّي إلى آفاقٍ من الدَّرس اللسانيّ والقرآنيّ ماكان لأنظار الباحثين أن تطمح إلى استشرافها لولا ماكان من عملِ ناصبٍ نَهَضَ به رجل ممن رَدَّاهم الله لباسَ الصبر، وأنزل على قلوبهم ثلج اليقين، ونَزَّه عزائمهم عن كلال الحَدِّ وانتثار الطينة.

وصَمْداً إلى هذه الغاية لم يكن بُدٌّ من أن تنطوي المقدّمة على ثلاثة مطالب، فأما أولها فبيانُ الحاجة إلى معجمٍ للقراءات بإطلاق، وأما الثاني فجلاءُ المزيّة في هذا المعجم بخصوصه فيما نَصَبَ له وتَغَيَّاه، وأما الثالث فدليل نجلو به وجوه الانتفاع الممكنة بما يَضُمُّه المعجم بين دفتيه من كنزٍ لُغَويّ في حَلّ كثير من معضلات الدرس اللساني العربي، وإضاءة المواطن المظلمة في تاريخ العربية، وإلاّ فإنه لَكَارِبٌ للنفس حَقّاً أن يستحيل هذا الجهد المُنْصِبُ كتلةً صَمّاء في خزائن الكتب، وماأكثر ماكان من ذلك ويكون.

ونفرغ الآن لِبَسْط القول في ثلاثة المطالب واحداً فواحداً، فنقول - وبالله التوفيق:

المطلب الأول

وَجْهُ الحاجةِ إلى معجمٍ للقراءات

ثَمّةَ حقيقةٌ يُطْبِقُ على صحتها الدارسون من عرب ومستعربين، هي أن العربية من أطول لغات الأرض عمراً وأوسعها انتشاراً، وأَعْرَقِها ثقافة، وأعمقها تأثيراً في سيرة الفكر الإنساني، ولكن تاريخ هذا اللسان هو من أشد تواريخ الألسنة البشرية غموضاً، حتى إنه ليكاد يكون لساناً بلا تاريخ، ولم تفلح خمسون عاماً من عمر اللسانيات العربية الحديثة في تغيير هذا الواقع العلمي المرير.

١ - فليس للغة العربية معجم تاريخي يرصد ماطَرأَ على دلالات الكلمات من تغيّر، وماتَعَاوَرَها من تخصيص أو تعميم، ومن تقييد أو إطلاق، ومن استعلاء في السلم الدلالي أو استفال، وماتداولها من مجالات دلالية، وواكب رحلتها من ظهور أو خفاء.

٢ - وليس للغة العربية معجم يعالج متلازماتها اللفظية من منظورَي الآن والزمان، مما حظيت به لغات أخرى كثيرة يقع بعضها دون العربية في التاريخ والمكانة.

٣ - وليس للغة العربية أطلس لسانيّ يحاصر التنوعات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في اللهجات العربية الحديثة، ويرصدها، ويصنّفها، ويتتبع انتشارها ومسارات توزيعها بالاعتبارين: الجغرافي والاجتماعي.

٤ - والدرس اللساني العربي لايزال في معالجته للتراث محصوراً معظمه في أُفُق مهني بالغ الضيق والعقم، فلا يرى موضوعاً له إلا ماكان معالجةً لمسائل الصرف والنحو، أو لقضايا المعجم وفقه اللغة، ومما يَبْخَعُ النفس أَسَفاً أن يكون ذلك مَبلَغَ أهله من العلم برحابة أفق البحث اللساني، وإن كان هذا الأفق ليمتد فيشمل بالفحص والتشخيص والتحليل جميع أوجه النشاط اللغوي عند الإنسان، بدءاً من أرقى ثمرات العقل في الأدب والفلسفة والعلوم إلى أبسط حوار يجري بين العامة وأعراض المتكلمين.

٥ - وأكثر ماصدر من دراسات للسانين المحدَثين مما يَتَّخِذُ «التطورَ اللغوي» أو ماأشبهه عنواناً له لايزال من أَسَفٍ أسيرَ النظريات اللسانية التي سادت القرن التاسعَ عَشَرَ عند الدارونيين والنحاة الشبّان، ومدارس المقارنات اللسانية، فلا يكاد يجمعه جامع باتجاهات اللسانيات التاريخية فيما بعد سوسير، بل هو نقيضٌ خالصٌ لمقولات البنوية والنظامية التي هي جوهر الانقلاب السوسيري في تاريخ اللسانيات؛ لذلك كان قصارى أولئك الباحثين الرصد التفتيتي الذريّ لبعض التغيرات في مفردات الكلمات دون البحث في تغيّر كليات النُّظُم الصوتية والصرفية والنحوية في ذواتها، وفي الاعتماد المتبادل بين بعضها وبعض.

تلكم المهمات التي أسلفنا القول فيها، والتي لاتزال مجالاتٍ عذراءَ في

الدرس اللساني، يتجاوز خطرها دائرة اللسانيات الصِّرف إلى دوائر أُخرى تتداخل وتَنْدَاحُ في قلب الهموم التاريخية والعقدية والسياسية والاجتماعية، أو قُل - على سنة الاختصار -: إن خطرها يتجاوز الأفق المهني للسانيات إلى التاريخ العقلي والاجتماعي للأمة التي إليها ننتسب.

وإذا كان دارسو الأدب العربي قد عَمَدوا إلى مُعْضِل التأريخ لهذا الأدب فَحَلُّوه حَلاً مريحاً بإسقاط عصور التاريخ السياسي عليه، وجعلوا من هذا الأدب ماهو جاهلي أو أموي أو عباسي أو ماشئت من هذه الألقاب - فإن هذا الحل يبدو لنا زائفاً ودخيلاً على جوهر الظاهرة التي هي موضوع النظر. وظني أن اللسانيين العرب سَيُطَوَّقُون مابَخِلُوا به من جهد في هذا السبيل؛ إذ لا يكون تاريخ صحيح للأدب إلا أن يحصل لنا تاريخ علمي صحيح للسان الذي فيه تشكَّل الأدب، وإذا صَحَّ ذلك في حَقِّ الأدب العربي. وهو إن شاء الله صحيح - فإنه كذلك في حَقِّ سائر ظاهرات النشاط العقلي والاجتماعي عند الإنسان.

والآن، ماموقع القراءات القرآنية ومعجمها من هذه القضية؟

إن أزمة التأريخ للسان العربي، أو إن شئت فقل: أزمة التأريخ للعقل العربي المسلم لاتنجم عن نُدْرَةِ الدارسات العلمية في هذا المجال، إذ إن هذه النُدْرَةَ عَرْضٌ لمرض آخر أَشَدَّ خطراً، وهو غياب الجمع العلمي المستوعب والمنضبط للمادة اللسانية التي لايقوم الدرس اللساني التأريخي إلا بها، ولكي تعتضد هذه الدعوى بالبرهان نقول: إن المادة اللسانية اللازمة لكتابة هذا التأريخ تنشعب إلى ثلاث شعب هي:

١. المادة اللسانية في عصر الاحتجاج:

وتشمل جميع المرويِّ من نصوص العربية في هذا العصر. وفيها يتخذ القرآن الكريم مكان القلب والصدارة، وتأتي أحرف القرآن لتمثِّل لنا الخريطة اللسانية لعصر الاحتجاج في أعظم صورها تنوعاً، وأَدَقِّ خطوطها تشابكاً وتفصيلاً، ويزيد من خطرها أن وساطة النقل فيها هي المشافهة والتلقي، وأن حظها لذلك من التوثيق عظيم، وجدواها في مجال الدرس الصوتي التاريخي يفوق غيرها من ألوان المادة اللسانية المقيدة بالتدوين والكتابة، كما أن قداستها

تحظيها بالنصيب الأوفى من القدرة على المحافظة ومقاومة التغيّر.

٢ . المادة اللسانية فيما بعد عصر الاحتجاج:

وتتسع لتشمل جميع فنون التراث العربي الإسلامي المكتوب منذ نهاية عصر الاحتجاج - على الخلاف الشهير في تحديده - إلى بداية اختراع وسائل التسجيل الصوتي الحديثة. ولاتستثني هذه المادة نصوص الأدب أو التأريخ أو الفقه أو الفلسفة أو الرياضيات، أو الطبيعيات، فجميع ذلك وغيره مجال صالح لرصد التغيرات المعقّدة التي تناهَبَت اللسان العربي بِنُظُمِهِ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وعلى الآليات التي تتحقق بها وظائفه التواصلية والتصورية والنَّصِّيَّة.

٣. المادة اللسانية الحَيَّة:

وتَشْمَلُ مادةَ العربية المعاصرة المسجلة تسجيلاً صوتياً، سواء كان تسجيلاً بالقوة أو بالفعل، وتتعدد صورها بين العربية الأدبية (أي الفصحى الحديثة أو الفصحى المعاصرة) واللهجات الحديثة بدرجاتها المتباينة على امتداد الأرض العربية في بُعْدَيها المتجادلين: الجغرافي والاجتماعي.

تلكم المادة اللسانية بشعبها الثلاث هي الماة الغُفْل التي يُعاد بمعالجتها تركيب التاريخ اللساني للعربية على نحو ماتعالج به المواد «الجيولوجية» و «الأركيولوجية» ليتوصل العلماء من خلالها إلى إعادة تصور الماضي في عصور سحيقة لايملكون عليها دليلاً مباشراً، وتعالج هذه المادة اللسانية تبعاً لمقولات منهجية ثلاث:

أولاها: تكامل المادة اللسانية بشعبها الثلاث على نحوٍ تشكّل به جسماً واحداً.

وثانيتها: خضوع مسارات التغير في هذه المادة لقوانين واتجاهات واحدة أو متشابهة بحيث تتكامل المسارات أو تتوازى فيما بينها.

وآخرتها: أن الفصحى ليست بالضرورة هي أقدم أشكال النُّطْق، ومن ثَمَّ

فإن اللهجات الحديثة قد تشتمل على صورة هي أقدم من نظائرها في الفصحى من حيث الانتماء التاريخي، كما أن القراءات الشاذة يمكن أن تنطوي على صُوَرٍ نُطْقيّة هي أَعْرَقُ تاريخياً من نظائرها في قراءة الجمهور أو القراءات الأخرى المتواترة.

ويحصل لنا، باعتبار ماسبق:

١ . أن كتابة تاريخ اللسان العربي ضرورة لسانية وحضارية في آن.

٢ . أن القراءات القرآنية هي أحد أضلاع المثلث الذي يشكّل المادةَ اللسانيةَ اللازمةَ لكتابة هذا التاريخ.

وإذا استبان لنا أن كلا الضلعين الآخرين لايزال استقصاء جمعه حُلْماً بعيدَ المنال - فإنه يَضَحُ لنا الآن خَطَرُ ماقام به صاحب هذا المعجم حين تَصَدّى فرداً بالجمع والتدقيق والتوثيق لطوفان زاخر من القراءات، وليقدم بذلك استقراءً مستوعباً لأعظم صور التنوّع اللّهجِي تشابكاً وتفصيلاً في عصر الاحتجاج.

وغنيٌّ عن البيان أن كتابة تاريخ اللسان العربي على النحو الذي أسلفنا بيانه إنما هو مقدمة لاغِنَى عنها لإعادة كتابة تاريخ اللغات السامية، وربما لإعادة كتابة تاريخ لغات الفصيلة السامية . الحامية كلها .

فانظر . أيها القارئ . أيَّ صنيعٍ قَدَّمَ الرجل؟ وأيّ قولٍ ثقيل ألقاه بعمله هذا على كل مشتغلٍ بعلوم هذا اللسان الشريف؟

المطلب الثاني:

الكشف عن وجوه المزية في هذا المعجم

أَمّا أن الحاجة إلى هذا المعجم ثابتة بيقين، فذلك هو ماحاولنا الإبانة عنه في المطلب الأول. وهذه الحاجة شركة بين هذا المعجم وغيره مما سَبَقَ بالظهور. ومابنا هنا أن نوازن بين الأعمال، فالمخطئ والمصيب كلاهما - إن شاء الله - مَعْذُور ومُثَاب. والسائر في هذه السبيل المَخُوفة إنما يسير على دَحْض، ويحتسي غير

مَحْض. وسبحان من جعل من كلامه الشريف ناسخاً ومنسوخاً، أمّا الذي بي فهو أن أجلو وُجوه المزيّة في هذا المعجم الذي أُقدّم له. ولقد تبيَّن لي منها أمور:

أولها: أن لهذا المُصنَّف مزية الجمع المباشر، ينهض به جامع المادة بلا واسطة، وهذه المزية ثابتة له من جهتين: الأولى أن الجمع بواسطةٍ لاتُؤْمَنُ معه السلامةُ في طريق كثيرة المزالق، قلّما يَنْبُلُ فيها ممارس لهذه الصناعة. وليس يكفي إذا ماعتُمدت الواسطة أن يُذْكَرَ ذلك على وجه التجهيل، أو أنه يُعْرَّف الواسطةُ بالاسم واللقب مُجَرّدَين، إذ لابُدَّ من إعلام القارئ بالشروط الأهلية التي استحق بها الواسطة أن يكون موضع الثقة والتكليف. والأخرى أن الجامع بلا واسطة في معجمنا هذا ذو قدم راسخةٍ وسابقةٍ حسنةٍ في ممارسة هذا الفن. وصحيح أن الجمع باعتماد الواسطة أَسْرَعُ وأَنْجَزُ، ولكن الجامع إذا كان من أهل الاختصاص كان بدقائق عمله أَعْرَف، وبِسَبْرِ معضلاته أَذْهَنَ وأَغْوَصَ.

والثاني: يَبْدَهُك في هذا المعجم الاتساع البيِّن في استخدام المصادر كماً وكيفاً، لذلك فقد أحاط بما لم يُحِط به غيره، فثبت له بهذا مزية الاستيعاب. والاستيعاب في هذا المقام ليس من الأمور التحسينية التي لايَضُرُّ فَوْتُها؛ إذ إن نقيضه يُدْخِلُ الضَّيْمَ على جوهر الغاية التي يَتَغَيَّاها المعجم. ومعلوم أن صورةً واحدةً من صور النطق يمكن أن يكون لها في الدرس اللساني التاريخي خطورةُ الكشف الأثريّ الذي يفعل فعله في نظريات التأريخ نقداً ونقضاً.

الثالث: امتاز المعجم بالاتساع في الإحالات واستيفائها بما يمنحه قيمة توثيقية عالية.

الرابع: أُتيح للمعجم أن يعْزُو قدراً صالحاً من القراءات التي وردت فيما سواه من غير عَزْو.

الخامس: مَيَّز المعجم في دقة بالغة بين تعدُّد القُرّاء في القراءة الواحدة وتعدُّد طرق الرواية عن الراوي الواحد.

السادس: استدرك المعجم على كثرة كاثرة من المصنفين والمحققين أغاليط وأوهاماً لايُستهان بها في ضبط القراءات وعَزْوِها، وفي أسماء القُرّاء والرواة وألقابهم وكُناهم.

السابع: كانت المادة الصوتية في المعجم أعظم وفرة وسخاء، حتى إنه احتفى بالنص على اختلاف القراءات في تفاوتِ طُولِ المدود.

الثامن: احتفى المعجم بتخريج ما أورده من وجوه القراءات ما وافَقَ حفصاً وغيره في الرواية، وماكان رَسْمُ خريطةِ القراءات ليتمَّ إلا بمثل هذا الذِّكْرِ.

التاسع: لم يقنع المُصنِّفُ في ضبط القراءات بالعلامات المتعارَفِ عليها في الرسم الإملائي حتى أضاف إلى ذلك الضبط بالعبارة في كل موضع لايُؤْمَنُ معه اللَّبْس أو الغلط.

العاشر: أورد المعجم -على جهة الاستيفاء- قدراً صالحاً من مسائل الخلاف بين العلماء فيما يتصل بنقد القراءات سنداً ومتناً وترجيحاً واختياراً، وبيان منزلتها وحَظِّها من خطأ أو صواب.

حادي عشر: إن مُصنِّف المعجم كان حاضراً في كل معالجة صرفية أو نحوية للقراءات، وكان شريكاً فاعلاً وأصلاً في تخريجها وتوجيهها، فحلَّل واختار، وعَلّل لاختياره في أكثر مما وقع له مما اقتضى ذلك من مسائل.

ثاني عشر: كان حِرْصُ المُصنِّف ظاهراً على إيراد مااتصل بلغات القبائل، فأضاف بهذا الصنيع محصولاً طيباً لمعارفنا عن التوزيع الجغرافي للهجات في عصر الاحتجاج.

ثالث عشر: لعل التأليف في القراءات لدى علماء السلف كان أشبه شيء بالأمالي؛ لذلك لم تَرِدْ كثيرٌ من القراءات حيث كان ينبغي إيرادها، أو حيث يتوقع طلابها العثور عليها، وانتثرت قراءات لآياتِ البقرة وآل عمران ومتقدمات السور في عُرْض هذه الكتب وفي أضعافها لأدنى ملابسة، أو حيثما دَعَتْ مناسبة الآيات إلى ذكرها.

وقد كان لتمرُّس المصنف بأساليب القدماء في التأليف أثره المحمود في تتبع القراءات التي وردت في غير مظانها حيثما وجدت، ليردّ غُربتها، ويُسكِنها في مساكنها، وبذلك اتخذ عمله، في بعض جوانبه، صورة من صور إعادة التنظيم لهذه المصنفات، وجَعْلِ القراءات قَيْدَ الضبط بعد انتشارها وانتثارها في غير نظام يَسْهُلُ التهدّي إليه.

وهكذا أفلح المُصنِّف في أن يجعل من معجمه هذا نصّاً جامعاً ومنسوقاً ومقيّداً لشتات القراءات وفقاً لتسلسل الآيات في المصحف الشريف، وهنا تستعلن مزية الجمع المباشر بلا وساطة يقوم به عقل يَقِظ، وعينٌ راصدة، وهَمٌّ جميع.

رابع عشر: وُفِّق المُصنِّف - فيما أحسب - إلى العبارة الدقيقة في جميع ماعرض من مسائل الخلاف، وماعالج من تخريج وتوجيه، فجاء الدالُّ في عبارته مَقْدُوداً على المدلول، لايقع دونه سقوطاً، ولايتجاوزه فُروطاً.

إنه مامن صفحة تَصَفْحُها من هذا المعجم إلا وهي قؤول لذلك كله أو بعضه. لهذا ولكثير مما لايتسع المقام لاستقصائه، نرى أن هذا العمل الجليل سيكون له - ببركة الإخلاص فيه إن شاء الله - إتاءٌ ونفع فائض.

المطلب الثالث:

في وجوه الانتفاع الممكنة بهذا المعجم

مابي في هذا المطلب أن أعمد إلى حصر أو تقييد لوجوه الانتفاع التي تقترحها مادة هذا المعجم على الباحثين، فإنّ ثَمّةَ علوماًكثيرة لها فيه مُسْتَرَاد ومَذْهَب. وحسبي أن أشير إلى علوم كالفقه والأصول والتفسير والفلسفة وعلم الكلام، وغير ذلك مما لاأراني أهلاً للخوض فيه خوض أُولي الاختصاص والعلم به.

ومابي في هذا المطلب أيضاً أن أَحُدَّ موضوعات بأعيانها مما أراه صالحاً أن يكون موضع نظر الباحثين، ومناطاً لجهودهم، فالمادة وَلُود، وما إلى التفصيل من غايةٍ إليها ينتهي.

بيد أنه قد كان من سوالف الأقضية لمثلي أن يُعْطِي عمره المعرفيَّ كله للدرس اللساني، وحين صَفَحْتُ أثناء هذا المعجم بهذه العين أيقنت أنّا أمام كنز لَمّا

يُعْرف خَبْؤُه، ولاتنقضي عجائبه، وأزعم أن العربية لو ظفرت بأطلس للهجات الحديثة، يقيد شوارد التنوع اللهجي صوتاً وصرفاً ونحواً ودلاله، ويقوم على ضبطها وتوزيعها واستنباط توجهاتها، وتحديد مساراتها. أقول: لو أن ذلك كان، وانضاف إلى هذا المعجم الذي بين أيدينا، لاجتمع للسانيات التاريخية العربية والسامية جناحاها اللذان بهما يكون التحليق، واستشراف أَبْعَد المرامي.

وإذا كان الله قد قَيّض للقراءات القرآنية من سَلِم من سوارق العجلة، ليقوم على أمرها قياماً لاينقاد لطالبه سهواً رهواً بلا كُلفة ولا مؤونة - فإن الجناح الآخر لايقل عن ذلك كُلْفَة ووعورة مركب، وصعوبة مراس، إذ يَفُوت ذَرْعَه وُسْعَ الآحاد. فلم يَبْقَ إلا أن تُؤْمِن به المؤسسات القائمة على ثقافة الأمة، وتُدْرك خطره ووعورة مأتاه، وعظيم جداه، فتسابق إلى إنجازه، ثم تقوم كذلك على نشر معجمنا هذا وأمثاله لكي يكون دُولة بين الباحثين. ويومئذ تتم الفائدة بهذا المعجم تمامها، ويؤتى جُهْدُ هذا المؤلِّف الفاضل أُكُلَه بإذن ربّه. وإلا فإن عليه ماحُمِّل وعليكم ماحُمِّلْتم، وماأحسبني متجاوزاً إذ أقول: إن صدور هذا المعجم على الوجه المُبتغَى حقيقٌ أن يكون فيصلاً بين حقبتين من حقب الدرس اللساني إذا ماقمنا بحقه وحق العربية علينا. ولعمري ألا يستحق لسان هذه الأمة ووعاء فكرها أن يُخْلِص له قادتها وزعماؤها مؤتمراً قائماً برأسه، نستنقذ به كينونتنا المتشظّية، ونواجه به أعاصير الصراع الفكري المحتدم حولنا في عالم لايرحم الضعفاء؟ بلى، إن الأمر لمستحق لهذا، ولما هو أكثر منه، وإن غفل عن ذكره الغافلون، ومايَذّكّر إلا أولو الألباب.

لقد أقنعني هذا المصنَّف الجليل أولاً بأن أرض البحث في التراث اللساني لاتزال عذراء، وأننا آثرنا في كثير من الأحيان سلوك المأهول على ارتياد المجهول.

وأقنعني - ثانياً - أن الأمد لايزال بعيداً مابين نَحْوِ الفطرة على ألسنة الفِصاح، ونَحْوِ الفطنة في مصنفات النحو، وأن الأول ينبغي أن يكون حاكماً على الآخر، ومهيمناً عليه، وهنالك أقول: ألا تستيقظ هذه المقولة أنظارنا إلى وجوب تصحيح العلاقة بين القراءات الثابتة بالنقل الصحيح وماخالفها من قواعد النحاة، وأن نحرر في ضوئها الشرط القائل بوجوب موافقة العربية ولو بوجه.

وبذلك لاتكون العربية مرادفاً لنحو النحاة، وتكون القراءات هي المرجع المعوّل عليه في تحديد وجوه العربية ولاعكس؟

وأقنعني هذا المصنّف ـ ثالثاً ـ أن بإمكاننا صياغة قواعد التحولات، الصرفية، والنحوية، وتفسير تحولاتها التاريخية من خلال مايتيحه المعجم من مادةٍ لسانية سخية بالعطاء.

وأقنعني . رابعاً . بأن علينا أن نُعيد رسم الخريطة اللسانية لشبه الجزيرة في عصر الاحتجاج بتوظيف ماعُزي إلى القبائل من صور الكلام، وبتمحيص العلاقة بين بيئات القُرّاء والرواة وماروُي عنهم من وجوه القراءات.

وأقنعني ـ خامساً ـ بأن ثَمّةَ متسعاً لايزال للعودة إلى معاجم العربية باستدراكٍ للفوائت، وإتمامٍ للنواقص، وتذييلٍ للقوالص.

وأقنعني . سادساً وأخيراً . بإمكان الكشف عن القوانين والسنن الفاعلة في تطور العربية، والحاكمة على هذا التطور على نحوٍ يمكن به إعادة تصوّر الماضي، وتفسير الحاضر، والتنبؤ العلمي بفعل مسارات التطور في المستقبل، قياساً للغائب على الشاهد.

وبعدُ، ألم أقل إن صدور هذا المعجم حقيق على أن يكون فيصلاً بين عهدين من البحث اللساني في العربية؟ بلى، وماكان ذلك ليُتَاح إلا على يد رجل من أولئك الذين يُمَسِّكون بالكتاب، والذين لايأخذون عَرَض هذا الأدنى، ولايودّون أن غير ذات الشوكة تكون لهم، ولعل هذا العمل أن يكون لصاحبه . إن شاء الله . نوراً يمشي به في الناس، حتى إذا قدم إلى ربه تَبَشْبَشَ له، وأَحَلّه دار المُقامة من فضله، وأثابه عن لسانه ودينه وأمته ثواب الصابرين.

سعد مصلوح

الكويت/ ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

معجم القراءات

مقدّمة

الحمد لله على نعمائه التي لاتُحَدُّ حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد ألاّ إله إلاّ الله وحده لاشريك له، العليمُ الذي يعلو فوق كُلِّ ذي علم، العظيم الذي لاعظيم غيره، وأشهد أن محمداً خليل الرحمن وحبيبه، وصفوتُه من خلقه ورسوله، جاء بالكتاب المحكم المبين من عند ربِّه إلى الخلق أجمعين، فكان من آثار فضل ماجاء به على البشرية اللسان العربي الشريف ماأنا قائم بالحديث عنه في هذا المعجم.

إنه كتاب الله الذي أُنزل من فوق سبع سماوات، فكان الكتابَ الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خَلْفِه، وتتابع السُّنُون، وتتّوالى القرون، والباحثون ينهلون منه، ويَرِدُون معينه، وكلّ يوم يخرج تأليف جديد فيه منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد، ولم يستطع قرن أن يثبت في علم من علومه كلمة خاتمة تخضع دونها الرقاب، وتتطال لها الأعناق، فقد قالوا فيه ما قالوا، ومع ذلك فكم ترك الأول فيهم للآخر، فجاء تاريخ الإنسانية مصدّقاً لكلمات الله التامّات:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

ويتجلّى برهان ذلك في علم من أشرف العلوم، وهو علم القراءات وبيان أوجه إعرابها، وضبطها، وذِكْر رواتها، فإنّ المتقدّمين استفرغوا وسعهم في هذا الميدان،

وجَمَعوا وصنَّفوا، وأحكموا تخريجها وتوثيقها، فكان لهم بذلك جهد لا يُسْتَقَلّ، وفضل لا يُجْحَد، فلهم من الله أجره وجزاؤه ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

ومع هذا الذي ذكرت فإنك لاتجد مؤلَّفاً جميع هذه القراءات فأوعى، ونَسَقها جميعها بين دفتين على النحو الذي أنا ساعٍ إليه وقائم به.

فليكن هذا العمل امتداداً لعمل السابقين، وجهداً مضافاً إلى جهدهم في خدمة هذا الكتاب الربَّاني الذي أخذ بيد الإنسانية من ظلام الليل إلى وَضَح النهار، فَأَبْصَرَ به من أَبْصَرَ، واهتدى به من اهتدى.

فمن أراد علماً قرآنياً له تاريخه ورجاله فدونه ما في هذا المعجم؛ فهو الغاية، ومن أراد نحواً وصرفاً ولغة يصدر فيها عن كتاب الله ويمتاح فيها من معينه فلينظر فيما سقته إليه، فإن فيه من الخير والفضل ما لا تجده مجموعاً في مؤلَّفات النحو والصرف إلا نتفاً وتفاريق؛ إنه نحو الفطرة، الذي وَفَّته نصيبه القراءة القرآنية متواترها وشاذّها.

فانهل من هذا المعين العذب ما طاب لك أن تنهل، واشكر ربك كلما تعرّفت كلمة فيه، أو تعلمت مسألة منه، ماطاب لك أن تشكر، وصلِّ على حبيبك محمد الذي جاء إلينا بهذا الكتاب ما طاب لك أن تصلي، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، وصلَّى عليه في الأولين والآخرين أفضل وأكثر وأزكى ما صَلَّى أحد من خلقه، وزكّانا وإياك بالصلاة عليه أفضل ما زكى أحداً من أمته بصلاته عليه.

وبعدُ،

فإنّ خبر هذا المعجم بدأ في عام ١٩٧٥ حيث انتهيت من كتابة بحثٍ لدرجة الماجستير(١) في النحو والصرف، ثم طفقت أطلب موضوعاً لدرجة الدكتوراه، وقد نبهني والدي - رحمه الله وجزاه عني خيراً - إلى «البحر المحيط» لأبي حيان الأندلسيّ، ونصحني بأن يكون موضوعَ الدراسة لهذه المرحلة؛ فأبو حيّان نحويٌّ

(١) كانت الرسالة بعنوان: «ابن يعيش وشرح المفصَّل». وقد تولى نشرها مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت عام/١٩٩٩.

مُفَسِّر، جَمَعَ في هذا الكتاب التفسير والنحو والصرف والبلاغة واللغة، وغير ذلك من فنون العربية وعلومها.

ولَمَّا شَرَحَ الله صدري لذلك قرأتُ الكتاب القراءة الأولى في ثمانية أشهر، ثم وضعتُ الخطّة الأولى لهذا البحث تحت عنوان «البحر المحيط لأبي حَيّان النحوي - دراسة نحويّة صرفيّة صوتيّة»، ثمّ سُجِّل هذا البحث في كلية دار العلوم بجامعة القاهرة.

وكان من جملة فصوله فَصْلٌ في قراءات القرآن؛ وذلك لأن أبا حَيّان فارس هذا الميدان المُجَلِّي جَمَعَ علم السابقين في كتابه، وأتْبَعَ ما جمع بالدرس والمناقشة، فدلّ بذلك على طول باعه وعلوّ كعبه في هذا الميدان، وماكان ذلك ميسوراً له لولا أنه بدأ منذ نشأته الأولى بتلقّي هذا العلم على شيوخه في الأندلس، وأقام على ذلك حتى حَنَى الزمان ظهره، وأطفأ بَصَرَهُ، ثم أَسْلَمَ لربّه رُوحَه، تاركاً وراءه علماً غزيراً ينتفع به الناس من بعده، رحمه الله، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم تجد كل نفسٍ ما عملت من خير مُحْضراً.

وفي سبيل كتابة هذا الفصل جَرَّدتُ القراءات من البحر المحيط، ونَسَقتُها بعد آياتها، ثم قابلتُها على ما في كتب القراءات، وعَلَّقتُ عليها بما يناسبها من البيان، ثم كتبتُ هذا الفصل في القراءات مبيّناً فضل أبي حيان ومنهجه الذي سلك، وأثر ذلك في غناء البحر بمسائل اللغة والنحو والصرف.

وبعد كتابة هذا الفصل جعلت مما جمعته لحقاً للرسالة وسميته «معجم القراءات».

وفي عام ١٩٨٠ حملتُ إلى القاهرة البحث وأصول هذا المعجم للعرضة الأخيرة على أستاذي الفاضل الدكتور عبد الله درويش عميد كلية دار العلوم آنذاك - عليه رحمات الله ورضوانه - فاطّلع على الكتابين، واستحسن ماصنعتُ، ثم رأى أنّ مناقشة البحث مع المعجم أمر غير ممكن؛ باعتبار الحجم. وأشار عليَّ أن أخرج المعجم في عملٍ مستقلّ بعد المناقشة، فذلك أفضل، وفيه تخفيف عن لجنة المناقشة، وكان له ماأراد.

ولقد مَرَّ إعداد هذا المعجم بثلاث مراحل:

١ . تجريد القراءات من البحر المحيط.

٢ . مقابلة هذه القراءات على ما في كتب القراءات والتفسير واللغة، واحتفظتُ في هذه المرحلة بنصّ أبي حيّان وتخريجاته مستقلّةً عما سواها، وأثبتُّ في الحواشي ما نَقَصَهُ منها صاحب «البحر».

٣ . والمرحلة الثالثة من هذا المعجم هي هذه التي بين يديك، لم أتقيَّد فيها بنصٍّ أبي حيّان وحده، بل جعلتُه الأصلَ الذي أبدأ به، ثم نَسَقْتُ معه ما في كتب التفسير والقراءات. وأَتْبَعتُ ذلك بذكر المراجع الموثّقة لهذه القراءات في الحاشية، فجاء - بحمد الله - معجماً فيه خير كثير، وعلمٌ غزير من قراءة ولغة ونحو وصرف وما شاء الله من علوم العربية.

وأمّا ترتيب هذا الكتاب فقد ثبت على النَّسَق الآتي :

أثبتُّ في أعلى الصفحة اسم السورة، ورقمها، ثم أنزلت من القرآن الكريم الآيات في منازلها؛ فالحَفَظة - في زماننا - قِلال، وقارئ هذا المعجم محتاج أن يعرف موقع الكلمة في سياق الآية، وأكثر وجوه القراءة لا يدرك على وجهه، ولا يُعْرَف فَصّ الخلاف فيه إلا في سياقه وموضعه.

ووضعتُ بعد نصٍّ الآية الكلمةَ المقروءة مفردةً في سطر مستقلّ على يمين الصفحة، ثم ذكرتُ القراءات الواردة فيها، ويستمر الأمر على هذا الطّرد حتى أنتهي من كلمات الآية واحدةً واحدة، ثم أنتقل إلى غيرها، وقِسْ على هذا بقية العمل.

وكُلُّ كلمة ذكرتُ فيها قراءة من القراءات خَرَّجتُ قراءتها في الحاشية بذكر البحر المحيط على أنه المرجع الأول الذي بدأتُ فيه بحكم دراستي له، والنصُّ المثبتُ في هذا المعجم هو على الغالب عنه، ثم أذكر بعد ذلك المراجع الأخرى.

ولقد حرصتُ - قدر المستطاع - على ألاّ أُكَرِّر القراءة في لفظ من ألفاظ القرآن، فإذا ما اقتضى المقام ذلك أثبتُّ اللفظ في موضعه من سياق الآية على يمين الصفحة، ثم أشرتُ إلى أن القراءة فيه قد تقدَّمت فيما سلف، وأذكر رقم الآية والسورة ليتمكن القارئ من الرجوع إليها إن شاء.

وكنتُ أشير إلى ماأجده من تصحيف وتحريف في القراءات، وأسماء القراء في المراجع، بدءاً من البحر إلى آخر مراجع هذا المعجم، وقد وقع في ذلك شيء غير قليل من الوهم وأخطاء الطباعة، أوقعت كثيراً من القراء والباحثين وكبار المحققين في الخطأ، وسترى أثر ذلك في مواضعه مما هو قبلك إن شاء الله تعالى.

وأما أصول هذا المعجم التي رجعت إليها فكثيرة، منها:

كتب التفسير: كالمحرر لابن عطية، ومفاتيح الغيب للرازي، والكشاف، والقرطبي، وتبيان الطوسي، ومَجْمَع الطبرسي، ومعاني الفراء، والأخفش والزجاج وغيرها.

ومما رجعت إليه في كتب القراءات كتاب السبعة لابن مجاهد، والمكرر، والتيسير، والكشف عن وجوه القراءات السبع، وشرح الشاطبية، وحجة ابن خالويه، والفارسي، ثم كتب العشرة ككتابَيْ النشر والمبسوط، والأربع عشرة كالإتحاف...

ومن كتب الشواذ المحتسب ومختصر البديع، وإعراب الشواذ للعكبري، وشواذ القراءة للصفراوي.

وأما كتب إعراب القرآن فمنها بيان ابن الأنباري، وتبيان العكبري، وإعراب النحاس، ومشكل مكي...

وأما المعجمات فما فاتني الرجوع إلى واحدٍ من أمهاتها، وهي اللسان، والتاج، والصحاح، والتهذيب، والمصباح، والمفردات، وبصائر ذوي التمييز[1].

وأما كتب النحو والصرف فسترى في حواشي هذا المعجم مايدلك على تتبع القراءات فيها، ومدى حرصي على ذلك.

وأما الفهارس فمنها ما اعتمدت فيه على صنيع غيري، ومن ذلك فهرس سيبويه للأستاذ أحمد راتب النفاخ ـ رحمه الله ـ، وما وضعه بعض المحققين من فهارس للقراءات فيما حققوا من مصنفات العلم.

---

(١) سلكته مع المعجمات لأنه جرى على طريقتها في ترتيب المادة اللغوية.

ومنها ما وضعتُه بنفسي؛ ومن ذلك فهارس لشرح المفصّل لابن يعيش كنت صنعتها عام ١٩٧٢ بين يدي مدارستي هذا الكتاب، كما قمت بإعداد فهارس للقراءات في كتب النحو والصرف مثل: شرح التصريح، وشرح الأشموني، وأمالي الشجري، وإعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، وخصائص ابن جني، وسر الصناعة له، والمقتضب، والإنصاف، وشرح الكافية الشافية، وشرح الكافية، ومعاني الحروف للرماني، وأوضح المسالك، وغير هذا كثير، كما أعددت فهارس للقراءات في لسان العرب، وتاج العروس، والصحاح، والتهذيب، والمفردات، والمصباح، والمحكم، والمخصص.

وسوف يأتيك في ثبت المراجع مما أثبته في آخر هذا المعجم، ما لم أذكره هنا، وما ذكرتُ مما رجعت إليه إلا القليل.

وبعدُ فقد قضيت في جمع القراءات وتصنيفها والتعليق عليها نحواً من خمسٍ وعشرين سنة منذ عام ١٩٧٥ إلى عام الناس هذا، وفيها عمل مُتَّصل، حتى تمت على هذا الطرز الذي أضعه بين يديك، فإن خُرِم من ذلك شيء بعد هذا الذي ترى من الجهد الناصب فلا عتبى - إن شاء الله - ولا لوم.

وأخيراً،

فاللهمَّ هذا عملي أُقدِّمه إليك، خالصاً لوجهك، وقد عانيتُ فيه ماعانيت وكان رضاك هو المبتغى، فإذا كان؛ فذلك هو الفوز العظيم.

اللهم إنك تعلم السنين الطوال كيف مَرَّت، والليالي الحالكة كيف تَقَضَّت، ولايعلم ذلك أحد غيرك، فاللهم وعدك الذي وعدت!!

اللهم اجعل نفعه عاماً بين عبادك، وألهمهم قول كلمة الحق فيه مجرّدةً عن الهوى، وأَلهمني قبولها، والرجوع فيها إلى ما يرضيك، إنك سميع مجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

عبد اللطيف محمد الخطيب

الكويت: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م